كلمة الحياة

كانون الأوّل/ ديسمبر 2023

"إفرَحوا دائِمًا، واظِبوا على الصَّلاةِ، أُشكُروا على كُلِّ حال، فتِلكَ مَشيئَةُ اللهِ لَكم في المسيحِ يسوع"
(1 تس 5، 16-18)

يكتب القدّيس بولس إلى أهل تَسَالونيكي فيما لا يزال العديدُ من معاصري يسوع الذين عاينوه وسمعوه أحياء، هم الشهود على مأساة موتِه وقيامتِه المُذهلة وصعودِه إلى السماء، وقد أدرَكوا الأثر الكبير الذي تركه يسوع، وهم ينتظرون عودتَه الوشيكة. لقد أحبّ بولس جماعة تسالونيكي المثاليّة من حيث حياةُ أهلِها وشهادَتُهم وثمارُهم، وكتب لهم هذه الرسالة مستحلِفًا إيّاهم أَن تُقرَأ على الإخوة أجمَعين (5، 27). إنّه يشير فيها إلى بعض التوصيات لكي يبقوا "متَمثِّلين بنا وبالربّ" (1، 6)، ويختصرُها هكذا:

"إفرَحوا دائِمًا، واظِبوا على الصَّلاة، أُشكُروا على كُلِّ حال، فتِلكَ مَشيئَةُ اللهِ لَكم في المسيحِ يسوع"

الرابط الجامع لهذه الإرشادات المُلِحّة لا يتوقّف فقط على "ما" ينتظره الله منّا، بل "متى": أي باستمرار، دائمًا، وفي كلّ الأحوال.

ولكن، هل من الممكن أن نُؤمَر بالفرح؟ نحن جميعًا نختبر أنّ الحياة تهاجمُنا بالمشكلات والهموم، وبالمعاناة والقلق، وأنّ الواقع الاجتماعيّ قاحلٌ وعِدائيّ. ومع ذلك، فبالنسبة إلى بولس، هناك سبب لكي يكون "هذا الفرح" الذي يُشير إليه ممكنًا على الدوام. إنّه يتحدّث إلى المسيحيّين موصِيًا إيّاهم بأن يأخذوا الحياة المسيحيّة على محمَل الجَدّ، كي يعيش يسوع فيهم بذلك الملء الذي وَعَد به بعد قيامته. فبالفعل، في بعض الأحيان، نحن نختبر ذلك: فهو يعيش في الأشخاص الذين يحبّون، ويمكن لأيّ شخص أن يدخل طريق المحبّة من خلال تجرّدِه عن ذاته، وحُبِّه المجانيّ للآخرين، وتقبُّلِ دعمِ أصدقائه، وثقتِه بأنّ "المحبّة تنتصر على كلّ شيء"[1].

"إفرَحوا دائِمًا، واظِبوا على الصَّلاة، أُشكُروا على كُلِّ حال، فتِلكَ مَشيئَةُ اللهِ لَكم في المسيحِ يسوع"

[1] P. Vergilius Maro/Virgilio/Virgil, Ecloga X.69

يقودنا الحوار بين المؤمنين من مختلِف الديانات والأشخاص ذوي القناعات المختلفة إلى أن نفهم بشكل أعمق أنّ الصلاة هي عمل في جوهره إنسانيّ، فالصلاة تبني الإنسان وتسمو به.

وكيف نواظب على الصلاة؟ كتب اللاهوتيّ الأرثوذكسيّ إيفدوكيموف: "...لا تكفي الصلاة والقوانين والعادات؛ لا بل يجب أن نصبح صلاة، أن نكون صلاةً متجسّدة، أن نجعل حياتَنا صلاة ليتورجيّة، أن نصلّي من خلال أبسط الأمور اليوميّة"[2]. وتشدّد كيارا لوبيك قائلة: "من الممكن أن نحبّ الله كأبناء، بقلب يملأه الروح القدس بالمحبّة والثقة بالله أبينا؛ بهذه الثقة التي تقودنا إلى التحدّث معه مِرارًا، وإطلاعه بأمورِنا ومقاصدِنا ومشاريعِنا"[3].

هنالك أيضًا طريقةٌ في متناول الجميع تساعدُنا كي نواظبَ على الصلاة: نتوقّف قليلاً قبل كلّ عمل ونحدّد النيّة وراءه قائلين "من أجلكَ يا ربّ". إنّها خطوة بسيطة تحوّل نشاطاتِنا وحياتَنا الداخليّة كلَّها إلى صلاة مستمرّة.

"إفرَحوا دائِمًا، واظِبوا على الصَّلاة، أُشكُروا على كُلِّ حال، فتِلكَ مَشيئَةُ اللهِ لَكم في المسيحِ يسوع"

أُشكُروا على كُلِّ حال. إنّه الموقف الذي ينبَع بحرّيّة وصِدقٍ من الحبّ المليء بالامتنان تُجاه الله الذي يسنُد ويرافق بصمتٍ الأفراد والشعوب والتاريخ والكون كلّه، وبعُرفان الجميل تُجاه الذين يسيرون معنا ويجعلوننا نُدرِك أنّنا لسنا أشخاصًا مكتفين بذاتهم.

أن نفرح ونصلّي ونشكر، ثلاثةُ أفعال تقرّبُنا من الصورة التي يرانا الله بها ويرغبُها لنا، وهي تُغني علاقتَنا به. ثقتُنا كبيرة بأنّ "إله السلام يقدّسنا تقديسًا تامًّا"[4].

سنتحضّر بهذه الطريقة إلى عيش فرح عيد الميلاد بشكل أعمق لكي نسير بالعالم إلى الأفضل ونصبح صانعي سلام في داخلنا، وفي منازلنا، وأماكن عملنا، ووسط الساحات. ما من شيءٍ آخر أكثر ضرورةً وإلحاحًا في يومنا هذا.

إعداد فيكتوريا غوميز ولجنة كلمة الحياة

---

[2] P. Evdokimov, La preghiera di Gesù in *La novità dello Spirito*, Ed. Ancora, Milano 1997.

[3] C. Lubich*, Conversazioni*, Città Nuova, Roma 2019, p. 552.

[4] 1تس 5، 23.